

الله كخالق

للقدیس یعقوب السروجی

تمهید :

أیها الخالق أعطنی أن أتحدث عن الخلیقة وحسنها وترتیب تدبیرها .. سمعت ذلك الصوت أنه " فی البدء خلق الله السموات والأرض " (تك 1 : 1) لهذا تحركت لأتکلم ..

كتب موسى كخزانة ممتلئة غنى ، وهو الذى أعلمنا عن الخلیقة والخالق .. موسى تفرس ونظر بعین النبوة المرتفعة لما خلقت وكيف أنها نشأت من لا شیء .. لیس احتیاج الله هو الذى دفعه أن یخلق العالم بل من أجل صلاحه خلق الخلیقة .. لأن بنعمته خلق العالم لیکون موجوداً ویکون بواسطة أزلیته شیء من لا شیء .. الرب بابنه خلق الخلیقة . الأب أمر والإبن خلق والروح القدس كمل .. ولما تنازل وخلق شیئاً من لا شیء أخذ من ههنا اسم الخالق لأنه خلق .. فی ستة أيام أتقن صورة العالم الحسنة .. جبل النور فی الیوم الأول .. فی الیوم الثانی وضع القبة فوق الجو .. فی الیوم الثالث فرز البحر عن الیابس .. فی الرابع قامت الأضواء حسب نظامها .. فی الخامس قدمت المیاه الهوام والأسماك .. فی الیوم السادس (أخذ) ضلع آدم فكانت حواء .. الخلیقة تشهد کم أن الخالق جبار . النور بإشراقه الجلد بارتفاعه والکواكب بتغییر أنوارها .. وهكذا تشهد الخلیقة أن لها سیداً یدیرها ..

1 - فی الیوم الأول : الفصل بین النور والظلمة :

خرج الأمر من خفیة اللاهوت وطرده ظلام الماء وأتى بالنور .. كان قائماً وثابتاً ذلك الظلام فوق الماء مقدار اللیل لحدین قیل لیکن نور .. وصار اللیل أولاً من ظلام السحاب الذى كان العمق محجوباً به .. بكر اللیل ومسك موضعاً قدام النهار وأتى النور وطرده لأنه قام وصار بکراً .. رفقة لإسحق كمثل النهار واللیل ولدت عیسو ویعقوب .. عیسو البکر لون ساذج لیل أسود وأتى یعقوب ومسك عقبه كمثل النهار .. خرج النهار ومسك عقب اللیل أخیه قام يوماً واحداً لیکون أساساً للعالم .. وصار عجباً ذلك النهار الأول الذى كان من ذلك النور .. حسن هو الیوم الأول لأن صار النور وفیه أقیم العالم من لا شیء ..

2 - فی الیوم الثانی : الفصل بین المیاه التى تحت الجلد والتى فوق الجلد :

ودعا الرب أن یأتی الیوم الثانی هو أيضاً لیکون .. أقام الرمز بخلقه صنع الجلد قبة لمحل البشر .. دعا العالیة وأصعدها للمكان العالی فأسرعت كما تنزل لأسفل .. جبلها فی العلو ذلك العالی كمثل القبة جذبها وجمعها هناك كمثل البحر ..

وكما تتجمع هذه لأسفل فى المكان السفلى إجتمعت أولئك فى المكان الأعلى بغير إنسحاق ..
لأنه سهل على اهلل أن يطير السمك وإن شاء يسكن الطيور فى الماء ..
ولم تتحرك المياه العالية ولم تسر لأنها لم توضع هناك لتبحر بل لتهدأ ..
العمق تحتك وفوقك . المد العظيم إجتمع وقام وأنت فى الوسط ..
بين المياه والمياه حبسك الخالق لكى لا تتمرد بشيء من الوحشية ..
قال إن تجتمع المياه فسمعت المياه ولأنها سمعت الأمر إجتمعت ..
لأنه عندما يأمر أيضاً السحاب يصعد الماء ولأجل أنه أمر هكذا أسرع كإنها نازلة للعمق ..

3 - فى اليوم الثالث : ظهور اليابسة والعشب والشجر والثمر :

عمل الله للبحر أبواباً ومتاريس وأدخل حبسه ووضع له حدود الرمل المرخى فلم يتجاوزه ..
الخالق وضع السلام بين البحر واليابس . أذ حدد للبحر مكانه ..
وكما انقسمت أوقات الليل والنهار هكذا البحر واليابس ثبتا فى حدودهما ..
صارت يابسة والعجب أنه فى يوم واحد يبست الأرض الموضوععة داخل المد العظيم ..
يبسها وأتقنها وأهداها وكملها وصنعها أرضاً وللوقت أمرها أن تثمر وتخرج كل الأشجار ..
فى اليوم الثالث دخلت الأرض وثبتت ولبست بهاء وحسناً بجميع أفراس الأشجار ..
وأمر الصانع أن تخرج الأرض وسمعت الأرض ومن ذلك الحين كما أمرت تخرج وتعطى ..
وأمر الرب أيضاً للأشجار لما تنقطع أغصانها وتوضع فى الأرض تنمو وتثمر ..
كمثل القيامة صارت للأرض فى اليوم الثالث اليوم المبارك الذى فيه أتقنت وصارت أرضاً ..

4 - فى اليوم الرابع : النورين العظيمين لحكم الليل والنهار :

صنع الشمس لتكون مسلطة على النهار وتدبره وتسير فيه ويتباهى بها ..
صنع القمر ليقوم على سلطان الليل ومعه الكواكب تسير فى طريقها ..
جعل الشمس للنهار كمثل الديان والقمر والكواكب صارت لليل كمثل الخدام ..
ووضع فى الشمس حرارة وبيوسة تنضج الأثمار وتطيب طعم الفاكهة ..
أعطى القمر أن يكمل وينقص ويتغير ليقوم بخدمة تغيير الأزمان ..
سيد البيت أشعل السراج ووضع فى الخليفة وكل يوم يطلب السراج زيتاً من نعمته ..
هو ذلك القوى الذى أعطى الشمس النور لتضىء ..
إن شيئاً آخر هو نور الشمس بين الأضواء وآخر مجد القمر لأنه أطف بكثير ..
أنقن سعى النهار بالشمس وعلى مقدار إثنى عشر ساعة سلمها ..
وزين الليل بالقمر والكواكب التى صارت لأنه شقت الظلام المتكاثف بإشراقها ..

5 - فى اليوم الخامس : التناين العظام والطيور :

وأمر الرب أن تدب الحياة فى اليوم الخامس أنفس حية أسماك وهوام وطيور ..
المياه العاقرة أشرت بقدرة الله وولدت وأكثرت قبائل قبائل من أحضانها ..

تستنشق الأسماك المياه وتعيش بلذة وأن تصعد منها تموت بمرارة ..
الأسماك كلها هي في المياه تتباهى بالحياة وإن تصعد إلى اليابس تتعب وتموت ..
في المياه الخائفة توجد حياة لساكني الماء وأرض الحياة لها سجن ممتلئ موتاً ..
فوق الأرض وضع لنا الحياة لما خلقنا وداخل المياه حياة السمك حيث صنعها ..
وكما تحب العروس حجلتها وتفرح هناك . هكذا يفرح السمك بالمياه الكثيرة ..
البحر للسمك والجو لجميع الطيور ..
في يوم الخمسين أقيم العالم جميعه بالخمس حواس ولم ينقصه إلا النفس ..
ما أحسن اليوم الخامس وممتلئ دهشاً حين صارت ترعى فيه جميع الطيور بالجبال
والتلال ..

6 - في اليوم السادس : بهائم ودبابات ووحوش ثم الإنسان :

غنم جديد في مرج جديد وبكثرة ..
للرب الأرض وليس سيد إلا الرب . بهائم في أرضه وبقرة ترعى في نباته ..
وفي الوقت الذي صارت فيه الحيوانات وجدت المأكول مع المشروب أيضاً ..
في اليوم السادس تكمل جميع الاتقان وانتظمت جميع الحسنات التي لكل الخليفة ..
في اليوم السادس جبل الله آدم الذي صار مثال اللاهوت ..
اليوم السادس خبرة أرفع من كل الأيام وهو بدء وكمال لببيت آدم ..
اليوم السادس عظيم وممجد وممتلئ حسناً لأنه فيه كمل الجبار إتقانه لما خلق ..
في اليوم السادس إنتلم ضلع آدم فكانت حواء ..

أولاً - خلق آدم :

دهشت الأجناد السماوية بذلك الاتقان ولم يعرفوا لمن هو ..
العرس معد والعريس لم يوجد وترهب الخليفة من أجله وهو لم يولد بعد ..
تطوف الليالي مع النهارات وتطلب آدم ولكن آدم لم يكن بين الشجر ..
تخلج الأسماك في الأنهار وليس صياد تتكاثر الأثمار وليس أكلون ينظرون ..
انفتحت الجنة وتنتظر البستاني يدخل والأثمار الشهية تنتظر من يقطفها ..
آدم لم يكن طفلاً وبعد ذلك صبياً وشاباً ورجلاً بل صار رجلاً للوقت حين تكون !!
لو أن الرب خلق آدم وبعد ذلك كون الخليفة ماذا يقول إلا أنه صحبه بخلقتها ..
بنى الملك مدينة عظيمة ممثلة حسناً وينبغي جداً أن يقام فيها شبه الملك ..
إن الله قال على كل شيء ليكن فكان . ولم يشأ أن يقول ليكن آدم كمثل كل شيء ..
لما قال نصنع إنساناً تنازل ليعمل بيديه مثلاً أعظم من كل الخليفة ..
ومن أجل هذا لم يقل ليكن آدم بل " نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا " (تك 1 : 26)

هو الله تمثّل بتراب الأرض لأن حبه أنزله وصور مثاله على الغبار ..
السحاب للمطر والأرياح للهبوب الكواكب لليل وكل هذا من أجل آدم ..
كانت الخليفة تنظر مثال الرب في آدم وتخاف منه وتسمع له كمثل سيدها ..

ثانياً : خلق حواء :

ليس من الأرض جبلت حواء كمثل آدم بل جبلت من جبلته ..

وعوض التراب والماء الذين ألقاهما وجبلهما لأدم لحماً ودماً أخذ من جنبه وجبل حواء ..
ألقى الرب هدوء النوم وربط لأدم لترتسم فيه جميع أسرار الصليبوت ..
إضطجع الجبار وانفتح جنبه كمثال رمح الوحيد ..
إضطجع آدم كما قيل . ومات مخلصنا وفتح جنبه بالحربة ..
لأن الرب جبل آدم بالماء زرعه مائياً ولأنه جبل حواء بالدم يسيل الدم ..
الرب أخذ ضلعاً وأتى بالمرأة الممثلة حسناً ولم يحس آدم لا حين أخذها ولا حين أعطاها ..
أيتها العروس التي صارت من العريس قومي أيقظيه لأنه لم يحس بمجيبك ..
استيقظ آدم ونظر حواء العروس التي أتت لترث معه الأرض والعالم المتقن ..
نظرها آدم وفرح . هذه عظمى ولحمى هذه منى ابنة وأخت . أيضاً زوجة وامرأة لأبيها ..

ثالثاً – طرد آدم وحواء من الفردوس وتجديدهما :

آدم أخطأ والله لم يلغنه لأنه كان يحبه ولم ييغضه . وإذ لم يلغنه لعن الأرض من أجله ..
الله لم يلغن آدم بعداوة لما طرده بل بالرحمة لأنه حزن قلبه على حبيبه ..
وآدم لما إكتسى ورق التين على فضيخته صنع الله له لباساً ولم يخرج عارياً ..
بدأ " إبليس " يلقي الحرب والشقاق فى العرس ويهدم للعروس إكليلها بغشه المرذول ..
ويلك يا حواء اتكلت على من يغشك أيتها الحمامة الطفلة لماذا تظهرين للحية سرك ؟ ..
وتلك التي قال الله نعمل إنساناً كشبهنا بها عرفنا جميع المحبة التي أحب بها آدم ..
وكما تكسرت الألواح الأولى وهلك معها أيضاً الناموس الإلهي هكذا هلك وفسد آدم وحواء ..
وكما تجددت تلك الألواح بيدي موسى هكذا جدد ابن الله آدم وحواء ..
كان آدم مسيح الرب قبل أن يخطيء ولأنه أخطأ صار ابن الله مسيحاً من أجله ..

7 – لأجل يوم السبت :

أيها النبي موسى وضعت فى كتابك أن الرب إستراح عرفنا هل تعب الرب لما خلق ؟ !
يا موسى اكشف البرقع المبسوط على هذه الكلمات . لماذا إستراح ذلك الذى لا يتعب ؟!
هوذا الرب لم يهدأ من تدبير العالم الذى خلق ..
يشرق الشمس ويعطى الأثمار وينبت ويربى ويصور الأطفال داخل بطون أمهاتهم ..
صور للأخرة مثلاً بالسبت الممتلىء هدوءاً ..
أيها السبت لماذا بطلت من الأعمال من إستراح فيك حيث لم يتعب ..
دعاك راحة ليس أنه إستراح فيك الرب سيدك بل رمز إلى نهاية العالم عندما إلتقى بك ..
ليس الرب محتاجاً أن يستريح حيث لم يتعب بل صنع مثلاً واضحاً على الكمال ..
تمجدت أيها السبت لأن فيك الهدوء والسلام العظيم ..
تعالى أيتها الأيام واعطى التمجيد للخالق وادخلى تهليلك قدامه كممثل الهدية ..
عقلى وضميرى قلبى وكليتى نفسى وجسدى وجميع حركاتى وأفكارى تعطى المجد لله مع
كل الخليقة ..